

تهليل القوى الاستعمارية يدل على وجهة الخطوة الاخيرة

ما أحوجتنا^(١) بين الحين والآخر الى تنقية الجو السياسي من الارتجال والمهاترة والانتهاج، فنعالج أمورنا الخطيرة بمنطق العقل وروح الأخوة القومية. والواقع أنه ما كان لفرد أو جماعة أن يضطلعوا بمهمة الاصلاح والانقاذ لو لم تكن نقطة انطلاقهم هذا الايمان العميق الراسخ بأن سلامة النوايا الشعبية ورجحان الامكانيات الايجابية عند الجماهير هما الضمانة الأساسية لتفتح القوى المؤيدة للتقدم وتعاظمها حتى تتغلب على الفساد والمرض آخر الأمر.

والواقع أيضاً أن كل خطوة يخطوها الشعب في طريق تحرره من قيود الاستعمار وتغلبه على أوضاعه المتخلفة يجب أن يرافقها ارتفاع مقابل في المقاييس القومية التي يهتدي بها في هذه الطريق الطويلة الوعرة، فمستوى الوطنية والاخلاص في زمن الانتداب، والاحتلال الاجنبي، قبل عشرين عاماً، يوم كان الوصول الى عقد معاهدة مع فرنسا يمثل اقصى المطالب الوطنية، لا يصح أن يكون مستوى الوطنية والاخلاص الآن عندما يكون همتنا تعزيز الاستقلال من الداخل بتقوية جيشنا وتصنيع بلادنا واستثمار ثروات أرضنا وتوحيد أجزاء وطننا العربي على أسس سليمة

(١) نشر في جريدة «البعث» في ١٣ تموز ١٩٥٦

تكفل لنا إمكانية الدفاع عن وجودنا وقوميتنا أمام خطر إسرائيل والعوى الاستعمارية الداعمة لها.

فليس بديهياً إذن ولا ضرورياً أن يكون الذين كانوا يُعتبرون وطنيين قبل عشرين عاماً مثلاً، متلائمين مع شرائط الوطنية كما تقتضيها ظروف المرحلة الحاضرة. وليس من أحد يجهل أن الذين يتزعمون اليوم حملة التشكيك في قدرتنا على التحرر من سيطرة الغرب السياسية والاقتصادية وفي جدوى التعامل مع المعسكر الشرقي لتسليح البلاد وتصنيعها، ويشيرون الشكوك ويضعون العقبات في طريق الاتحاد مع مصر، ويقترحون إدخال العراق بوضعه الحالي المعروف في هذا الاتحاد، كانوا من زعماء الوطنية بمفهومها القديم.

فلو سلمنا بحسن النيات لما أغنانا ذلك شيئاً. والمقاييس القومية الجدية تفرض علينا معرفة الترابط الوثيق بين هذه القضايا كلها. فالتلكؤ في أخذ السلاح ووسائل التصنيع من الدول الشرقية هو إبقاء لسيطرة الغرب وبالتالي تقوية لاسرائيل وخطورها. والتلكؤ في تحقيق الاتحاد بين سورية ومصر هو إضعاف للبلدين ولكل السياسة القومية العربية التي يجسدان بها أهداف الأمة العربية، وبالتالي عودة للأحلاف الاستعمارية وتسهيل لقبولها.

وما يصح على «الوطنيين» من أعداء السياسة التحررية يصح أيضاً على الذين تبنا منهم هذه السياسة تبنياً سطحياً دون أن يرجعوا عن تصرفاتهم وأساليبهم العتيقة التي تعرّض هذه السياسة للنكسة والتراجع في مثل هذا الظرف الدقيق الذي يقف فيه الاستعمار المهزوم الحاقد واسرائيل الباغية بالمرصاد لاستغلال أقل خلخلة واضطراب في صفوفنا.

وما النفع من أن يتعهد هؤلاء للشعب العربي بمقاومة الأحلاف الأجنبية وموازرة حركات التحرر والايمان بالوحدة العربية، ومن أن يتبنوا بحماسة ظاهرة خطوة الاتحاد مع مصر، إذا كان دأبهم داخل سورية محاربة القوى الشعبية التي تقاوم الاحلاف وتناضل في سبيل التحرر وتعمل من أجل الاتحاد، وهل يجدي هذا الحماس شيئاً في منع الدول الاستعمارية واسرائيل واعداء الاتحاد الداخليين في سورية وغيرها من

استغلال كل ذلك لتعطيل خطوة الاتحاد مع مصر؟.

ان اخلاص الشخص لا يعرف بالنية والاعلان فحسب، بل أيضاً وعلى الأخص بالقوى التي يعتمد عليها لتحقيق سياسته، وبالأسلوب الذي يتبعه في تحقيق هذه السياسة. والمخلص هو الذي يعرف دوماً في كل تصرف يقوم به أي القوى تستفيد من تصرفه؟ حتى لو لم يكن بينه وبينها علاقة أو صلة.

ولقد أصابت بعض الصحف كبد الحقيقة عندما استشهدت بما كتبه صحيفة انكليزية استعمارية عن الحدث الأخير⁽¹⁾ واستبشار الاستعمار به كواسطة لارجاع سورية الى نير الغرب، وكبدء للتآمر على نهضة مصر ووضعها المتحرر.

واذن فكل تجاهل لأثر بعض التصرفات الداخلية في انعاش قوى الاستعمار وآماله هو غفلة لا يقبل فيها عذر، وكل تصرف مثير للاضطراب والانقسام في الوقت الذي تباشر فيه البلاد تحقيق الخطوة الاتحادية هو غفلة تشبه الغدر.

ولا نريد لبلادنا أن تضيع قضيتها بين حسن نيات البعض وتآمر البعض الآخر. ان إيماننا بشعبنا وبإمكانات الخير في كل فرد من أفراده لا يعني أن نستسلم للثقة العمياء والتفاؤل الرخيص ونقبل بالتصرفات المرتجلة والأساليب العتيقة الخطرة، بل أن هذا الايمان هو الذي يدفعنا الى التنبيه والتحذير، والى دعوة الشعب للدفاع عن الخطوات التي بذل في سبيل تحقيقها التضحيات الغالية.

ولنقل مرة أخرى ما كررناه ألف مرة في الماضي : أنه لا ضمانة لما حققه العرب من تحرر وتقدم جزئيين نسبيين، ولا قدرة لهم على دفع الأخطار الخارجية المتجمعة حولهم إلا بشق طريق الوحدة العربية بخطوة الاتحاد بين سورية ومصر، وان هذه الخطوة - على بساطتها تلقى المقاومة العنيدة من الاستعمار واسرائيل ومن المصالح والمطامع التي خلقتها التجزئة في بلاد العرب، وانه في سبيل تحقيق هذه الخطوة قبلنا بقناعة عميقة أن نلتقي على صعيد قومي مشترك مع جميع الذين يخلصون لها

(1) تنحية رئيس اركان الجيش الذي رافقه حشود اسرائيلية على حدود سورية ونشاط عملاء حكومة العراق وحلف

ولو اختلفنا معهم في كثير من الأمور. وقد سجل الميثاق القومي الحد الأدنى الذي لا بد منه لكي تكون السياسة الخارجية والداخلية منسجمة مع مشروع الاتحاد ومساعدة على تحقيقه. وستابع عملنا لنساهم مع غيرنا في تحقيق ما تعهدنا به أمام الشعب، مسلحين بقوة هذا الشعب نفسه.

١٣ تموز ١٩٥٦